مدينة بجاية؛ معقل صوفي مهم خلال الفترة الوسيطة.

Bejaia, an important stronghold of Sufism during the Middle Ages.

د/بومدين هشام، نمر
جامعة وهران1 أحمد بن بلة
hichem19892009@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2022/03/23 تاريخ القبول:2022/11/10 تاريخ النشر: 2022/11/30 .

ABSTRACT :

The subject of our research revolves around the city of Bejaia and its importance for Sufis as well as its role in the Sufi movement. Historically significant and civilized, as it dates back to Phoenician times as a harbor and a small village that developed and grew during the Roman and Byzantine eras, its real role was to establish a Hammadid nation whose rulers moved their capital to it from the citadel.

Bejaia emerged in Sufism in the days of the Hammadids, the Almohads and the Hafsids where the Sufis sought refuge during the Hammadi rule from the areas under the control of the Almoravids. After the control of the Almohads over it, Sufi activity flourished due to the position of the Almohad authority towards the Sufis which was dominated by tolerance, to continue this prosperity during the days of the Hafsids ,rulers of Africa, who joined it to their areas of influence; The factors of the flourishing of the Sufi movement in Bejaia are also due to: the flourishing of the scientific movement in general, the Andalusian migration that contributed to enriching the Sufi field a lot, the spread of poverty and misery among the common classes,the spread of social and moral evils, belief in the ability and dignity of saints; As for the Sufi currents prevailing in Bejaia from the Hammadid era to the Hafsid era, there were two: the Sunni mysticism and the philosophical mysticism currents.

Keywords: *Bejaia; the Sufism; the Sufis; the Hammadites; the Almohads; the Hafsids; the Central Maghreb; al'Andalus; the Sunni mysticism; the philosophical mysticism.*

الملخص:

يدور موضوع مداخلتنا حول مدينة بجاية وأهميتها لدى الصوفية ودورها في حركة التصوف، حيث تتميز بجاية بأهمية جغرافية طبيعية تتمثل في موقعها الجغرافي المطل على البحر المتوسط، والذي يتوسط نسبيا مدن وأمصار إفريقية والمغرب الأوسط، مع حصانة طبيعية، وكذلك أهمية تاريخية حضارية، بحيث ترجع إلى العهد الفينيقي كميناء وقرية صغيرة، التي تطورت ونمت خلال العهدين الروماني والبيزنطي، غير أن دورها الحقيقي بدأ مع قيام الدولة الحمادية التي نقل حكامها عاصمتهم إليها من القلعة؛ وقد برزت بجاية في التصوف أيام الحماديين والموحدين والحفصيين، حيث لجأ إليها الصوفية خلال الحكم الحمادي من المناطق الخاضعة لسلطة المرابطين، وبعد سيطرة الموحدين عليها ازدهر فيها النشاط الصوفي نظرا لموقف السلطة الموحدية من الصوفية الذي غلب عليه التسامح، ليستمر هذا الازدهار أيام الحفصيين حكام المغرب الأدنى، الذين ضموها إلى مناطق نفوذهم؛ كما ترجع عوامل ازدهار الحركة الصوفية في بجاية إلى: ازدهار الحركة العلمية بشكل عام، الهجرة الأندلسية التي ساهمت في إثراء المجال الصوفي كثيرا، انتشار الفقر والبؤس بين طبقات العامة، انتشار الآفات الاجتماعية والأخلاقية، الاعتقاد في قدرة الأولياء وكراماتهم، هذا فضلا عن دخول المصنفات المشرقية الصوفية، ورحلات الحج وطلب العلم والتجارة، زد على ذلك قدوم عدد من الصوفية المشارقة إل بلاد المغرب الأوسط؛ أما بخصوص التيارات الصوفية السائدة في بجاية من العهد الحمادي إلى العهد الحفصي فكان هناك تيارين وهما: تيار التصوف السني، وتيار التصوف الفلسفي.

ر.ت.م.د: 2437-0797
ر.ت.م.إ: 2600-6782
الإيداع القانوني: 2015-6799

الكلمات المفتاحية: بجاية؛ التصوف؛ الصوفية؛ الحماديون؛ الموحدون؛ الحفصيون؛ المغرب الأوسط؛ الأندلس؛ التصوف السني؛ التصوف الفلسفي.

المقدمة:

تعد مدينة بجاية من أبرز المراكز الحضارية في بلاد الغرب الإسلامي، وقد عرفت خلال مسيرتها الحضارية حركة صوفية مزدهرة، إبان ثلاث مراحل وهي: المرحلة الحمادية، المرحلة الموحدية والمرحلة الحفصية؛ سنحاول من خلال هذه المداخلة إبراز المكانة التي حظيت بها مدينة بجاية في مجال التصوف، وهو ما يقترن بالمكانة العلمية التي حظيت بها، إذ أن أهمية هذا الموضوع تندرج في إطار التعريف بالدور التاريخي الحضاري للمدن الجزائرية؛ وانطلاقا من هنا نطرح الإشكال العام: إلى أي مدى يمكننا اعتبار مدينة بجاية مركز إشعاع صوفي خلال العصر الوسيط؟ إجابة على هذه الإشكالية قسمنا مداخلتنا إلى ثلاثة عناصر محورية: سنتطرق في العنصر الأول إلى الأهمية الجغرافية الطبيعية والتاريخية الحضارية لمدينة بجاية، أما العنصر الثاني فسنتناول فيه العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة الصوفية بها، وأما العنصر الثالث والأخير فيتناول الحديث عن التيارات والمدارس الصوفية السائدة فيها وأبرز أعلامها؛ جامعين في دراستنا بين عدة مناهج طبقا لطبيعة الموضوع وما يفرضه علينا من تلك المناهج، حيث سنوظف المنهج التاريخي من خلال سردنا لمسيرة التصوف في بجاية خلال العصر الوسيط، والمنهج الوصفي مثلا عند تطرقنا لموقع بجاية على سبيل المثال، إضافة إلى المنهج التحليلي.

1– الأهمية الجغرافية الطبيعية والتاريخية الحضارية لبجاية: مدينة بجاية من بين المدن الجزائرية المهمة ليس في العصر الحاضر فقط، وإنما كانت كذلك عبر فترات تاريخية مختلفة، خاصة خلال

الفترة الحمادية، وما مكنها من اكتساب تلك الأهمية جغرافيتها وطبيعتها، اللتين كان لهما دور في التأسيس لتلك المكانة التاريخية، والاضطلاع بذلك الدور الحضاري.

1-1 الأهمية الجغرافية الطبيعية: تقع مدينة بجاية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، شمال شرق المغرب الأوسط، على خط طول 2 درجة و45 دقيقة شرقا، وعلى دائرة عرض 36 درجة و45 دقيقة شمالا، وقد بنيت هذه المدينة على شكل مدرج فوق منحدرات وسفح جبل "أومسيون" الشاهق (غورايا حاليا)، لذلك كانت تبدو حسب وصف صاحب الاستبصار "معلقة من جبل قد دخل في البحر يسمى أمسيول"[1].

ومن أهم الخصائص التي امتاز بها موقع بجاية، التوسط النسبي بين مدن وأمصار إفريقية والمغرب الأوسط، حيث أن هذه الميزة لم تخف على بعض الجغرافيين المسلمين الذين لاحظوا بأنها "قطب لكثير من البلاد"، وركزوا على المسافات القصيرة التي تفصلها عن هذه المدن والحواضر الكبرى في إفريقية والمغرب الأوسط[2].

وهكذا بإمكاننا القول بأن تأرجحها ما بين المغربين الأوسط والأدنى راجع إلى هذا التوسط النسبي، وهذا ما جعلها من الحواضر البارزة في جميع الدول التي حكمتها سواء في المغرب الأوسط أو الأدنى.

هذا فضلا عن مساحتها التي هي على شكل مثلث، قاعدته البحر، وتطل على خليج يمتد من رأس كربون إلى رأس بواك، وبه يوجد ميناؤها الذي يتمتع بحماية طبيعية، تتمثل في الكتل الصخرية العالية التي تمنع عنه الرياح العاصفة الغربية والشمالية والجنوبية، بحيث يمكن لأسطول بأكمله أن يرسو في أمان[3]، وهذا ما أهلها لتكون من أهم المدن التجارية في بلاد المغرب خصوصا وحوض المتوسط بشكل عام.

أما من ناحية التضاريس، فأهم ميزة بارزة تَمَيزُ أراضيها بالارتفاع– عن مستوى سطح البحر–، إذ بنيت بين جبال شامخة أحاطت بها، وهي: جبال جرجرة التي ترتفع إلى الشمال منها، وتنحدر نحو البحر الأبيض المتوسط، وتنتهي بجبل أمسيون، وأعلى قمة بها هي قمة (لالة خديجة) التي تبلغ 2328م، أما الكتلة الثانية فتقع في شرقيها، وهي: جبال الرحمة، المطلة على البحر أيضا، وأما الكتلة الثالثة فتتمثل في جبال البابور، التي يصل علوها إلى 2004م، من الجنوب الغربي، وإلى الشرق منها جبال البيبان البالغ ارتفاعها 1417م، وهي جزء من سلسلة الأطلس التلي[4]، وهذا ما دفع بالحسن الوزان إلى القول: "والبلاد كلها جبال وعرة مكسوة بغابات..." كما قال أيضا بأن: "المدينة كلها عقبات، بحيث أن الماشي لا يستطيع أن يخطو خطوات دون أن يصعد أو ينزل"[5]، ومن هنا نستنتج بأن الجبال لعبت دورا كبيرا في تحصينها وحمايتها من الغزوات والغارات، وبالتالي فإن اختيار هذا الموقع لإنشائها راجع إلى هذه الميزة الطبيعية بدرجة أولى.

2.1 الأهمية التاريخية الحضارية: حلت بجاية محل صلداي (Saldae)، التي بدأت كميناء وقرية صغيرة أسسها الفينيقيون، وعرفت باسم (صلدة)، ولما احتل الرومان المنطقة أصبحت تعرف بصلداي، التي تطورت وأصبحت من أهم مدن نوميديا[6]، فخلال هذا العهد وعلى عهد الإمبراطور دوقليانس استحدثت موريطانيا الثالثة، وكانت عاصمتها سيتيفيس (Sitifis) التي أُلحقت بها مقاطعة صلداي[7]، وعلى الرغم من أن المدينة كانت ضمن مجال الغزو الوندالي، إلا أنها ظلت من أهم المراكز التي ازدهرت فيها المسيحية، حيث كانت مقرا لأسقفية[8]، وقد عرفت في هذا العهد باسم جوارايا– جورا بمعنى الجبل–[9].

ثم دخلت بجاية تحت الحكم البيزنطي ابتداء من سنة 534م، واستمرت حتى الفتح الإسلامي، غير أن دور المنطقة خلال القرون الأولى من العهد الإسلامي كان ضعيفا إلى غاية

ر.ت.م.د: 2437-0797
ر.ت.م.إ: 2600-6782
الإيداع القانوني: 2015-6799

قيام الدولة الحمادية، التي نقل حكامها عاصمتهم من القلعة (المسيلة) إلى بجاية، التي اختطت كمدينة جديدة من طرف الناصر بن علناس (ت.481هـ/1088-1089م)، رابع حكام الدولة الحمادية، وأطلق عليها تسمية الناصرية نسبة إليه، غير أن هذه التسمية لم تدم طويلا، فغلب على المدينة اسم بجاية، وهي تسمية لإحدى القبائل القاطنة في المنطقة يقال لها بالبربرية[10] (بقايت) فعربت إلى بجاية.

وقد كان لبجاية خلال فترة العصر الوسيط اتصالات وروابط وثيقة بمختلف المراكز الاقتصادية والحضارية في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة الأندلس، "فهي قاعدة الغرب الأوسط، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار" حسب تعبير القلقشندي[11].

ولم تكن الأندلس المنطقة الساحلية الوحيدة في الضفة الشمالية للمتوسط من كانت تربطها ببجاية علاقات تجارية وحضارية، بل حتى المناطق المسيحية كأراغون وصقلية وبروفانس والجمهوريات الإيطالية، حيث كان يؤمها التجار المسيحيون وحتى طلاب العلم، إذ أن بجاية عرفت خلال العهد الحمادي حركة فكرية نشيطة حولتها إلى صرح علمي قصده طلاب العلم من أمكنة كثيرة.

2– عوامل ازدهار الحركة الصوفية ببجاية: كان من وراء ازدهار الحركة الصوفية ببجاية عدة عوامل، منها ما هو سياسي وما هو مرتبط بالثقافة والفكر وما هو اجتماعي واقتصادي، كما أنه يمكن أن نلمس علاقة وتداخلا بين هذه العوامل مجتمعة.

1.2– سياسة السلطة الحاكمة تجاه الصوفية وموقفها منهم: ذكرنا بأن بناء بجاية كان من طرف الحماديين، وكان ذلك سنة 460ه/1067م، وقد بنيت على عهد الناصر بن علناس، واتخذها الحماديون عاصمة لدولتهم، حتى سقوطها على يد الموحدين سنة 547هـ/1153م،

والتي ظلت تحت سيطرتهم إلى غاية سنة 629هـ/1231-1232م تاريخ استيلاء أبي زكرياء الحفصي (625-647هـ/1228-1249م) عليها، وهكذا عاشت بجاية تحت حكم ثلاث دول إسلامية: الحمادية، الموحدية، الحفصية[12].

لقد سلك الحماديون سياسة الانفتاح تجاه الصوفية، فعرفت الحياة الاجتماعية والدينية تحت حكمهم حرية معتبرة، فكان الحماديون يحترمون أهل الربط ولا يتدخلون في شؤونهم[13]، الأمر الذي شجع الكثير من الصوفية المغاربة والأندلسيين على اللجوء إلى حواضر ومدن الدولة الحمادية وعلى رأسها بجاية، وهذا بسبب تشدد السلطة المرابطية معهم والتضييق عليهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: أبا بكر محمد بن الحسين المايورقي (ت.537ه/1142م)، وهو أحد أعمدة الاتجاه الباطني في التصوف، وذلك بعد مقتل شيخه ابن العريف الصنهاجي (ت.536هـ/1141م) صاحب كتاب "محاسن المجالس"؛ لقد كانت سياسة الحماديين تجاه الصوفية خالية من كل إكراه أو متابعة، ولكن لا يمكن إغفال دور الصوفية في ذلك، إذ أنهم كانوا بدورهم يسالمون الدولة، فلم يتعرضوا للسلطة، بل ابتعدوا عنها وتجنبوا التقرب منها[14].

أما بالنسبة للعهد الموحدي فقد وصفه المؤرخون بأنه كان عصر الاعتراف الرسمي بالصوفية، وذلك راجع إلى أن أخلاق الخلفاء الموحدين كانت مشوبة بالزهد والتصوف، اللذان يعدان من الأسس التي أقام عليها المهدي بن تومرت مذهبه، بل جعلهما شرطا لاتباعه[15].

عاش الصوفية في ظل الحكم الموحدي سواء في بجاية أو في غيرها في جو من التفاهم والتسامح عموما، إلا في بعض الحالات الشاذة، فإن العلاقة كانت تضطرب بسبب أمور تتعلق بالسياسة، ومن أمثلة ذلك: ما حدث مع أبي علي الحسن المسيلي[16] الذي حذره والي بجاية بأن لا يخوض في المسائل السياسية، وأن يشتغل بأموره الخاصة، وأن لا يتدخل في شؤون الناس؛ كذلك فإن إجراءات التنكيل والإقصاء طالت بعض الصوفية بعد مبايعتهم ابن غانية لما دخل

ر.ت.م.د: 2437-0797
ر.ت.م.إ: 2600-6782
الإيداع القانوني: 2015-6799

بجاية طواعية أو كرها، كان من بينهم أبو علي الحسن المسيلي الذي أقصي من منصب القضاء، وعبد الحق الإشبيلي[17] الذي تعرض للتنكيل لقبول منصب القضاء خلال فترة سيطرة ابن غانية[18]، ومع ذلك فإننا نعتقد بأن تعاقب حكم الدول الثلاث على بجاية قد امتاز بموقف إيجابي من التصوف، حيث سمح بأن تزدهر بها حركة التصوف، ما جعلها تتحول إلى مركز إشعاع صوفي في بلاد الغرب الإسلامي بل في العالم الإسلامي ككل.

2.2 ازدهار الحركة العلمية: عرفت بجاية خلال العهد الحمادي حركة فكرية نشيطة، وذلك راجع إلى كونها العاصمة الجديدة لبني حماد، الذين أولوا عناية فائقة بها من جميع النواحي، فأرادوها كحاضرة لهم أن تضاهي وتنافس حواضر الدول الأخرى مشرقية كانت أم مغربية، فركزوا اهتماماتهم على الجانب العلمي، فأسسوا المساجد والمدارس والمعاهد، وأكرموا العلماء والأدباء، كما أقروا مبدأ التسامح والتعايش.

ومن الأمثلة التي نوردها في هذا الصدد أن الناصر بن علناس مؤسس المدينة شيد حوالي اثنين وسبعين مسجدا[19]، وقد استمر هذا النشاط العلمي والثقافي خلال العهد الموحدي، حيث أولاها الموحدون اهتماما كبيرا فذاع صيتها، وأضحت بذلك عاصمة ثقافية في الغرب الإسلامي، وقد ظلت مساجدها معاهدا للعلم والثقافة تؤدي وظيفتها الدينية والتعليمية إلى غاية العهد الحفصي[20]، حيث وصفها الشريف التلمساني قائلا: "دخلت بجاية في القرن الثامن، فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها وصرت أكتب في كل مسجد سؤال حتى وصل أمره إلى السلطان"[21].

3.2– الهجرة الأندلسية: شكلت الهجرة الأندلسية إلى بجاية عاملا رئيسيا في ازدهار الحركة العلمية، ونفس الشيء بالنسبة للتصوف، حيث كان هناك العديد من الصوفية الأندلسيين الذين

انتقل عدد منهم إلى بلاد المغرب، وهناك من انتهى به المطاف إلى الاستقرار ببجاية، أو استقر بها ردحا من الزمن لطلب العلم ونشر مذهبه الصوفي.

ومن أبرز الصوفية الأندلسيين الذين حلوا ببجاية: أبو مدين شعيب بن الحسين (ت.594هـ/1198م)[22]، وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي الذي استقر بها قبل سنة 550هـ/1155م أو بعدها، وكانت هجرته بسبب تدهور الأوضاع في الأندلس نتيجة الضعف الذي أصاب دولة المرابطين ثم سقوطها، وقيام الثورات في شرق الأندلس، الأمر الذي لأدى إلى انتشار الفوضى[23]، هذا إضافة إلى حرب الاسترداد التي دفعت بالكثير من الأندلسيين إلى الهجرة نحو ديار الإسلام.

فبعد أن عجز الحفصيون الذين رفعوا راية الجهاد في الأندلس عن صد هجمات النصارى، اضطر الكثير من الأندلسيين إلى اللجوء إلى مملكتهم، وكان على رأسهم الفقهاء والعلماء والصوفية؛ وبالتالي فإن بجاية نالت نصيبا من هذه الهجرة، فكان من أبرز الصوفية الأندلسيين المهاجرين إليها خلال هذا العهد: أبو الحسن عبيد الله النفزي الشاطبي (ت.642هـ/1224م)[24] صاحب مختصر "حلية الأولياء" لأبي نعيم الذي عمل على تلقينه[25].

4.2– انتشار الفقر والبؤس بين طبقات العامة: على الرغم من أن بجاية خلال ذلك العهد كانت من أهم المحطات التجارية على المستويين الداخلي والخارجي، مع تمتعها بإمكانيات زراعية وصناعية لا بأس بها، فإن الثراء اقتصر على فئة معينة، حيث لم تستفد منه إلا طبقة التجار الأغنياء، بينما ظلت الغالبية العظمى من المجتمع البجائي ترزح تحت نير الفقر والبؤس، وكرد فعل على هذه الوضعية ظهرت في بجاية أفكار دعت إلى الزهد والتصوف، ونبذ الدنيا وشهواتها، وتمجيد الفقر[26]، مما ساهم في خلق قاعدة شعبية عريضة للتصوف في هذه المدينة.

5.2– احتكار الفقهاء للمناصب: احتكر الفقهاء المناصب والوظائف في بجاية، ما أدى إلى سيطرتهم على جميع المظاهر السياسية، فاستغلوا هذا الظرف من أجل تحسين مركزهم المادي مقارنة ببعض القبائل التي طالها التهميش السياسي، والتي ساهمت بدور كبير في بناء المدينة، وبالتالي فقد أدى ذلك إلى اتساع الهوة بين السلطة والمجتمع، وهكذا فإن الوضع تطلب وجود فئة موازية لفئة الفقهاء لإعادة التوازن من جهة، والتقارب بين السلطة والمجتمع من جهة ثانية[27]، مع العلم أن فئة الفقهاء كانت تقف في غالب الأحيان وقفة سلبية تجاه الصوفية، حيث باتوا ينظرون إليهم كمنافس جاء ليزاحمهم المكانة عند السلطان، فاتهموهم بالبدعة والخروج عن الصحيح من الدين.

6.2– انتشار الآفات الاجتماعية والأخلاقية: عرفت بجاية كغيرها من مدن المغرب الإسلامي الأخرى انتشار بعض الآفات الاجتماعية والسلوكات اللاأخلاقية كالزنا والخمر واختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة وغيرها، وقد نتج عن عجز السلطة في مواجهة هذه الآفات أن وجه عامة الناس أنظارهم إلى الصوفية كقوة بديلة بإمكانها التصدي لهذه المظاهر السلبية نظرا لنبذهم ومقتهم لها، وتحليهم بالعفة والزهد والسعي إلى الارتقاء بالنفس إلى أعلى المراتب، وإخراج الإنسان من عالم المعاصي والرذائل والشرور إلى عالم الأخلاق والفضائل والخير[28]، وقد عبر أبو الفضل بن النحوي[29] في أبيات شعرية عن الفساد الذي دب في أوساط المجتمع الحمادي قائلا (البسيط):

أَصْبَحْتُ فِيـــــــــــــــمَنْ لَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــهُ دِينٌ بِـــــــــــلَا

أَدَبٍ*****وَمَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــنْ لَهُ أَدَبٌ عَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــارٍ مِنَ

الدِيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــنِ

أَصْبَحْتُ فِيهِمْ وَحِيدَ اَلْشَكْلِ مُنْفَرِدَا*****كَبَيْتِ حَسَّانٍ فِيْ دِيْوَانِ سَحْنُونِ[30].

7.2– الاعتقاد في قدرة الأولياء وكراماتهم: كانت فكرة قداسة الأولياء والاعتقاد في قدرتهم وكراماتهم من المعتقدات السائدة في المجتمعات المغاربية ومنها المجتمع البجائي، فأصبح الصوفية الأحياء بل وحتى الأموات مقصد أهل بجاية لاعتقادهم بقدرتهم على تغيير الأقدار وحل المشاكل المستعصية[31]، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قبر أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت.611هـ/1215م)[32]، وبالتالي أضحت ظاهرة التبرك بالأضرحة وزيارة القبور من المعتقدات السائدة في المجتمعات المغاربية ولا تزال مستمرة إلى أيامنا.

8.2– دخول المصنفات المشرقية الصوفية إلى بلاد المغرب: مثل: الرسالة القشيرية للقشيري وقوت القلوب لأبي طالب المكي والإحياء للغزالي وغيرها، فقد ظهر كتاب الإحياء في أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ثم انتشر بقوة بعد ذلك في كل من بجاية وتلمسان وأصبحت أفكاره مفهومة ومبسطة[33]، فكان الشيخ أبو مدين الغوث "يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه...وله مجلس وعظ يتكلم فيه؛ فيجتمع عليه الناس من كل جهة..."[34]، كما كان مكبا على رسالة القشيري، فقد قصده ذات مرة جماعة من فقهاء بجاية وهو يتكلم عنها (رسالة القشيري) بعد أن أشكل عليهم حديث «إذا مات مؤمن أعطي نصف الجنة»، فكان سؤالهم: "إذ لو يموت مؤمنان فيستحقان كل الجنة؟" فأجابهم بعد أن كوشف في الحال بلا سؤال (أي بادرهم بالجواب قبل أن ينطقوا سؤالهم هذا)، فقال: "المراد أنه يعطى نصف جنته هو؛ فيكشف له عن مقعده لتنعم به، وتقر عينه، ثم النصف الآخر يوم القيامة"[35].

9.2– الرحلات الحجية والعلمية والتجارية: تمكن عدد من الصوفية المغاربة من اكتساب علوم التصوف وإدخالها إلى بلاد المغرب من خلال الرحلة الحجية والعلمية والتجارية، عن طريق لقاء كبار الصوفية المشارقة وحضور مجالسهم والأخذ عنهم، كما شهدت فترة القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين رحلات زهاد المغرب الأوسط إلى الأندلس[36]، هذا

إضافة إلى دخول عدد من الصوفية المشارقة إلى بلاد المغرب، ونشرهم وبثهم لأفكار الزهد والتصوف.

3– التيارات والمدارس الصوفية السائدة في بجاية وأبرز الصوفية: يتفق الكثير من المؤرخين والباحثين على وجود تيارين تفرعا عن التصوف بشكل عام في بلاد الغرب الإسلامي وهما: التصوف السني والتصوف الفلسفي، اللذان يتفرعان بدورهما إلى عدة اتجاهات، ونحن سنركز فقط على تلك التي شاعت في بجاية منذ زمن الحماديين حتى زمن الحفصيين، مع التطرق إلى أبرز الأعلام الذين برزوا في كل مدرسة وفي كل تيار.

1.3– التصوف السني: يتميز هذا التيار ببساطته وبعده عن الخوض في المسائل الفلسفية كالقول بوحدة الوجود[37] أو الحلول[38] والبعد عن التعقيدات[39]، وينتمي إلى هذا التيار من صوفية بجاية كما يذهب إبراهيم القادري بوتشيش أبو مدين شعيب، حيث ينسبه إلى جماعة الغزاليين السذج، وهو حسب هذا الباحث أحد الاتجاهات الثلاث المكونة للتصوف السني[40].

وينتمي إلى جماعة التيار الصوفي السني أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الذي يحسب على اتجاه الوعظ والتذكير، وأبو عبد الله العربي (ت.في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)[41]، أحد أبرز أعلام اتجاه المجاهدة النفسية بالمغرب الأوسط، الذين عرفوا بمجاهداتهم القاسية وعزوفهم عن الوصول إلى الكشف، بينما هناك اتجاه نزع إلى الكشف، وأتباعه كثر نذكر منهم على سبيل المثال: أبو محمد عبد الله بن موسى الزواوي (ت.734هـ/1334م) الذي عاش في فترة متأخرة نوعا ما، وذلك خلال العهد الحفصي[42]، أما أبو زكريا يحي الزواوي الذي ينتمي إلى اتجاه الترهيب والتخويف بالدعوة إلى ترك الدنيا والاهتمام بالآخرة، "فكان الغالب عليه رضي الله عنه الخوف، ما يمر بمجلسه إلا ذكر النار والأغلال والسعير..."[43].

وهناك من انتهج التصوف تلقائيا نتيجة عارض أو حادث غير من حياته: كأبي عبد الله محمد بن موفق البجائي الذي ترك حياة الرفاهية ومال إلى الزهد والتصوف بعد رؤيا قيل له فيها "اذهب إلى جبل أمسيون لترى الشيوخ"، بينما هناك جماعة آثرت الخلوة والانقطاع واعتزال الناس في الجبال والمقابر والمساجد والبيوت مفضلين الانزواء، وعدم القيام بأي عمل أو نشاط، رغم معرفتهم وإلمامهم بالفقه والحديث والعقائد، ومن الذين نحوا هذا المنحى جماعة صوفية كانت منقطعة للعبادة، وحلقات العلم في جبل أمسيون خارج بجاية، وقد اعتمد أصحاب تيار التصوف السني في تصوفهم على مصادر صوفية سنية، يأتي في مقدمتها: رعاية المحاسبي والرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين[44].

كما امتاز هذا الاتجاه بالارتكاز على الكرامة الصوفية، وعلى البركة والتشديد على الجانب الأخلاقي أكثر من الجوانب الأخرى، والنزوع دوما إلى السلام، فهو تيار ميال إلى انتهاج السلم والمهادنة والتعايش مع السلطة، فكان تأثيره ناجما عن نفوذه الروحي فقط[45] وبساطته إن صح القول.

غير أن بعض أصحاب التيار السني لم يديروا ظهورهم تماما للنظريات الفلسفية، بل إن بعضهم كان له اهتمام بها، مثل: الذين مالوا إلى الكشف من أصحاب المجاهدة النفسية كما رأينا.

حتى أن أحد الباحثين والذين أشرنا إليهم توصل إلى تيار ثالث يتوسط التيارين (السني والفلسفي) ويجمع بينهما، من خلال بعض الآراء والنظريات والممارسات والمعتقدات والخوض في المسائل أسماه بالتصوف السني الفلسفي[46].

2.3– التصوف الفلسفي: يتميز هذا التيار بباطنيته، وميل أصحابه إلى الخوض في المسائل الفلسفية، وقولهم بوحدة الوجود والحلول والاتحاد[47] والإشراق[48] والفناء[49]...وقد اختلف

الباحثون في تقسيماته وتفرعاته كما اختلفوا في التصوف السني، فبينما ذهب بوتشيش إلى القول بانقسامه إلى اتجاهين[50]، ذهب بوناپي إلى القول بانقسامه إلى ثلاثة اتجاهات[51].

وحول مسألة التداخل بين التيارات والاتجاهات الصوفية ببجاية، والتي نرى بأنها تنطبق على جميع المناطق التي عرفت حركة صوفية نشيطة، يعلق أحد الباحثين قائلا : "...ومهما كان الأمر فثمة قواسم مشتركة تكاد تشترك فيها كل الاتجاهات الصوفية التي ظهرت ببجاية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين..."[52].

ومن بين التيارات الصوفية الفلسفية التي نجدها حاضرة بقوة في بجاية: الاتجاه الإشراقي، الذي ساعد على ظهوره في بجاية خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ظهور مصنفات صوفية فلسفية الطابع على يد صوفية أندلسيين، ما أدى إلى إثراء الحركة الصوفية بنظريات صوفية فلسفية، مثل: "كتاب الإشارات" لابن سينا، ومؤلفات أبي على الحسن الحرالي (ت.638هـ/ 1239م) الأندلسي المراكشي[53]، الذي يمكننا أن نعتبره رأس الإشراقيين في بجاية، بل إن هذا التيار دُعِيَ بالحرالي، وقد دخل الحرالي بجاية مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ومكث فيها زمنا غير معلوم، مدرسا ومربيا في جامعها الأعظم، حيث التف حوله عدد من الطلبة الذين تأثروا بآرائه الإشراقية، من بينهم: أبو الفضل القرطبي (662هـ/1263م)[54]، الذي أسس زاوية في بجاية لنشر مذهبه الصوفي، كان يقيم فيها مع الخواص من تلاميذه، الذين لم يكتفوا بالإقامة معه في الزاوية، وإنما كانوا يتبعونه ويرافقونه أيضا خلال رحلاته التي كان يقوم بها خارج بجاية في شكل سياحة روحية، ليكشف لهم فيها عن كراماته ويبصرهم بسبل العارفين[55]، وحسب اعتقادنا فإن تأسيسه لزاوية خاصة به يعد دليلا قويا على الحرية الفكرية والاعتقادية، إضافة إلى حرية الدعوة إلى المذهب وجذب المريدين والأنصار.

ومن مشاهير تلاميذه أيضا ابن أساطير (ت.670هـ/1271م)، الذي قال عنه الغبريني بأنه: "كان له علم بالفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة..."[56]، والمقصود هنا بالحكمة الفلسفة، فنلاحظ من خلال ما أورده الغبريني أنه جمع بين التصوف الفلسفة؛ وله غيرهما من التلاميذ والمريدين[57].

وللحرالي عدة مصنفات صوفية نذكر منها: "شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب"، وكتاب "صلاح العمل لانتظار الأجل"، ونص لأذكار حزبه الذي كان يتلوه عقب كل صلاة صبح، فضلا على أشعار صوفية، وكان اتجاهه الإشراقي على طريقة السُهروردي (ت.586هـ/1191م)، وقد لقيت مؤلفاته عناية واهتماما من طرف تلاميذه ببجاية، وظل تداولها مستمرا إلى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[58].

وإضافة إلى تواجد أصحاب الاتجاه الإشراقي ببجاية، فقد تواجد أيضا أصحاب وحدة الوجود، إلا أن وجودهم كاد ينعدم[59]، على الرغم من مرور ابن عربي ببجاية أواخر القرن السادس الهجري[60]، ويعلل الطاهر بونابي ذلك بمقاومة التيارات السنية لمثل هذه الأفكار خاصة خلال القرن السادس الهجري، هذا إلى جانب هيمنة اتجاهي الإشراق والوحدة المطلقة[61].

كذلك يعد هذا الأخير (اتجاه الوحدة المطلقة) من أبرز الاتجاهات الصوفية الفلسفية التي هيمنت على الساحة ببجاية، ويرجع ظهور هذا الاتجاه بها إلى تواجد أحد أبرز الفلاسفة الصوفية المشتهرين بعلوم الباطن، وهو أبو محمد عبد الحق الشهير بابن سبعين (ت.668هـ/1270م)[62] الذي ينسب إليه تيار السبعينية، ووجود شخصية عالمة مثل شخصية ابن سبعين في مدينة بجاية يوحي بالمكانة العلمية لهذه المدينة، ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت قبلة العلماء، فضلا عن كون ابن سبعين شخصية ذاع صيتها في التصوف والفلسفة ومختلف العلوم، وبحل المسائل العلمية والفلسفية المستعصية.

وكان تواجد ابن سبعين ببجاية منذ سنة 624هـ/1227م، مع تلميذه أبي الحسن الششتري (ت.668هـ/1269م)[63]، فانتشرت مؤلفاتهما وأشعارهما وتواشيحهما في الوحدة المطلقة بين نخبة من طلبة بجاية، الذين انقسموا إلى مجموعتين: مجموعة تعلقت بأفكار ابن سبعين وأخذت عنه، وهم أصحاب أبي العباس أحمد الغبريني[64]، ومجموعة ثانية أخذت عن الششتري نظرا لطريقته الحسنة في التدريس[65].

ويلخص المستشرق روبار برنشفيك Robert Brunschvig وضعية الحركة الصوفية في بجاية قائلا: "ففي بجاية، حيث لا تزال مستمرة آثار سيدي أبي مدين المباشرة، يبدو أنها قد احتفظت مدة طويلة بصيغة خارجية معتدلة وبأسس ثقافية متينة، ذلك أن كثيرا من الصوفيين الذين أشار إليهم، بالنسبة إلى ذلك العصر، صاحب "عنوان الدراية"، كانوا متضلعين في الفقه، ومنهم من كانوا يشتغلون بالعدالة والتدريس، كما كان بعضهم من الشعراء الصوفيين البارزين. ولم يكونوا متعلقين أكثر من اللازم بالخوارق، ربما باستثناء المجموعة التي تكونت حول الأندلسي المغربي، العابر سبيل، علي بن أحمد التجيبي الحرالي...كما أن الولي المغربي، محمد بن أبي القاسم السجلماسي، الذي أقام هو أيضا في بجاية، كان من أتباع أبي محمد صالح ولي مدينة سلا، الذي هو نفسه من تلامذة سيدي أبي مدين، حسب زعمهم"[66].

وإثراء لما مر، فإن بجاية كانت أيضا أرضا خصبة للطرقية، فدرس بها كبار الصوفية من أصحاب الطرق الصوفية الذين أصبحوا من مشاهير أولياء وأقطاب المغرب الأوسط من أمثال: سيدي الهواري (ت.843هـ/1439م) الذي دخل بجاية سنة 767هـ/1366م وأخذ عن كبار علمائها أمثال: أحمد بن إدريس البجائي وعبد الرحمن الوغليسي[67]؛ وسيدي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت.876هـ/1471م) الذي قضى فيها فترة سبعة أعوام (802-809هـ/1399-1406م)[68].

الخاتمة:

استطاعت بجاية بفضل مؤهلاتها الجغرافية والطبيعية من موقع استراتيجي وتضاريس أن تتحول إلى مركز حضاري هام خاصة بعد اتخاذها عاصمة من طرف الحماديين، وقد استمرت في عطائها الحضاري خلال حكم الموحدين ثم الحفصيين من بعدهم ،على الرغم من أنها لم تكن العاصمة خلال الفترتين الأخيرتين، وكانت الحركة الصوفية من بين المجالات التي عرفت نموا وتطورا وازدهارا فيها خاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، من حيث الأعلام والمدارس والتيارات والاتجاهات وحركة التأليف، ومما أغنى هذا الجانب بدرجة كبرى الهجرة الأندلسية والرحلة العلمية والحجية، فأضحت بجاية فسيفساء من التيارات والمدارس الصوفية، ناهيك عن المذاهب الفقهية والفكرية التي كانت كلها تتعايش فيما بينها بسلام، لكن الملاحظ أن الحيادية والمسالمة التي انتهجها الصوفية حيال السلطة في بجاية ساهمت أيضا في استمرارية تواجدهم وازدهارهم، في المقابل كان للدول التي تعاقبت على حكم بجاية ابتداء من الحماديين مرورا بالموحدين وانتهاء بالحفصيين موقف إيجابي من التصوف.

أما بخصوص التوصيات التي انتهينا إليها فهي كالتالي:

– ضرورة إبراز الدور الحضاري لمدن المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، لا سيما الحواضر العلمية كبجاية، والتعريف بها وتبيان هذا الدور محليا وإقليميا ودوليا عن طريق تنظيم الملتقيات والمؤتمرات والندوات.

– العناية والاهتمام بالتراث المادي واللامادي للمدن والحواضر التاريخية الجزائرية، وإحيائه وإعادة بعثه عن طريق ترميم الآثار، تحقيق المخطوطات...

– تتطلب دراسة موضوع الحركة الصوفية وتياراتها اجتهادا كبيرا وإعادة قراءة، خاصة ما يتعلق بالتيارات والمدارس الصوفية وتفرعاتها.

الهوامش:

1- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 1436هـ/2015م، ص15.

2- موسى لقبال، ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، عدد خاص (19)، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث قسنطينة- الجزائر، السنة الرابعة: 1394هـ/1974م، ص5.

3- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص16.

4- نفسه، ص ص17-18.

5- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقية، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص ص50-51.

6- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص16.

7- نفسه، ص 25؛ ويذكر المؤرخ علاوة عمارة بأنه تم ضم بجاية إلى مقاطعة نوميديا الغربية، وبالقرب من المرسى الفينيقي قام أوكتاف (Octave) بإنشاء مستعمرة صلداي عام 33 ق.م: علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 02، مج 23، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة- ، 2008م، ص229.

8- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، ص ص25-26.

9- جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-6 هـ/11-12م، رسالة ماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص26.

10- نفسه، ص26.

11- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين وآخرون، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص104.

12- غير أن مدينة بجاية عرفت أحداثا خاصة خلال المرحلتين الأخيرتين جعلتها تخرج عن سلطة الحكم المركزي نتيجة غزو أو انفصال، مثلما حدث عند استيلاء بني غانية عليها (580 أو 581هـ/1184-1185م)، أو عندما تمكن أمراؤها الحفصيون خلال عدة محاولات من الاستقلال عن سلطة تونس خلال الفترة ما بين (620-770هـ/ 1224-1368م)، كما استطاع المرينيون الاستيلاء عليها دون قتال ما بين (747-763هـ/1347 إلى 1361م)، إلا أنها ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع الهجري أخذت السلطة الحفصية تستعيد السيطرة عليها، لتصبح مجددا ولاية تحت إمرة أحد أولاد السلطان بتونس؛ للتفاصيل أكثر ينظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص ص6-10.

13- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004م، ص ص86، 195.

14- نفسه، ص ص195-196.

15- نفسه، ص ص196-198؛ مصطفى مغزاوي، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة، 2011-2012م، ص 410.

16- كان يلقب بأبي حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن، من مؤلفاته: "التذكرة في أصول علوم الدين" و"النبراس في الرد على منكر القياس"، ولي قضاء بجاية، ودخل عليه الموارقة، وهو قاض، فأكرهوه على مبايعتهم، قبره بباب أمسيون بالمقبرة التي تقابل الخارج من الباب؛ ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص66-72.

17- ولد سنة 510هـ، رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا بعد سنة 550هـ، وتولى بجامعها الأعظم الخطبة وصلاة الجماعة، كما ولي قضاء بجاية مدة قصيرة زمن سيطرة ابن غانية الميورقي اللمتوني على بجاية، توفي

سنة582هـ، وقبره خارج باب المرسى وهو من القبور المزورة المتبرك بها؛ ينظر الغبريني، المصدر السابق، ص ص73-75.

18- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص201-202.

19- محمد محمدي، المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، العدد13، جامعة مستغانم، سبتمبر 2013، ص115.

20- نفسه، ص115.

21- الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص43.

22- أصله من حصن قطنيانة أو من حصن منتوجب من عمل إشبيلية، ثم نزل ببجاية وأقام بها إلى أن أُمِرَ بإشخاصه إلى حضرة مراكش، فمات وهو متوجه إليها بموضع يسر عام أربعة وتسعين وخمسمائة وقيل عام ثمانية وثمانين، ودفن بالعباد خارج تلمسان: أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص ص 319،321؛ الغبريني، المصدر السابق، ص ص55-65.

23- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص72.

24- من أهل شاطبة، كان من أهل العلم والفضل والدين مستبحرا متفننا عالما بالفقه وعلم العربية وغيرها...، توفي سنة 642هـ، وقبره بحومة رابطة المتمني خارج بجاية: الغبريني، المصدر السابق، ص176.

25- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص74-75.

26- خالد بلعربي، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و 7هـ- 12 و 13م، مجلة حوليات التراث، العدد 14، جامعة مستغانم، سبتمبر 2014م، ص65.

27- نفسه، ص65.

28- نفسه، ص66.

29- أبو الفضل يوسف بن محمد، ابن يوسف المعروف بابن النحوي، من قلعة بني حماد، وأصله من توزر، دخل سجلماسة، وفاسا، ثم عاد إلى القلعة وبها مات سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، للاستزادة ينظر: التشوف، ص ص 95-101.

30- ابن الزيات، التشوف، ص97.

31- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص66.

32- ينتمي إلى بني عيسى من قبائل زواوة، وعندما كان يكتب اسمه كان يكتب الحسني، قرأ في أول أمره بقلعة بني حماد، وارتحل إلى المشرق، ثم استوطن بجاية بعد عودته منه، وجلس بها لنشر العلم؛ للتفاصيل أكثر ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص 135-139؛ ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص428-429.

33- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص69.

34- ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق: بوباية عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص225.

35- نفسه، ص ص231-232؛ بالنسبة للحديث الوارد فإنني لم أقف على من خرجه في المضان الحديثية التي هي في متناولنا.

36- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص67.

37- ويعني هذا المصطلح أن كل الموجودات هي الإله، وأن الإله هو كل الموجودات، وأن الإله هو العالم، والعالم هو الإله؛ وهما حقيقة واحدة: عبد الوهاب المسيري، الحلولية ووحدة الوجود، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018م، ص26.

38- الحلول قد يكون بجزء، وقد يكون بكل، ولكنه في أكثر درجاته تطرفا، وفي منتهاه، هو "اتحاد الجسمين اتحادا تاما يذوب به كل منهما في الآخر بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر". ويعني مصطلح الحلولية أن الإله والعالم ممتزجان...وأن هناك جوهرا واحدا في الكون: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص25.

39- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص130.

40- وهي: أصحاب المجاهدة النفسية والتقشف والزهد، أصحاب المجاهدة العملية (المرابطة عند الثغور)، الغزاليون السذج: إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص130-131؛ أما الطاهر بونابي فقسمه إلى خمسة تيارات وهي: اتجاه الوعظ والتذكير، اتجاه الترهيب والتخويف، اتجاه المجاهدة النفسية، اتجاه التصوف التلقائي، اتجاه الخلوة والانقطاع: بونابي، المرجع السابق، ص ص103-116؛ إذا نلاحظ هناك اختلافات في فروع التصوف السني التي وضعها الباحثان، ونعتقد بأن ذلك راجع إلى تفسير كل باحث لذلك وفق نظرة أو زاوية معينة، مع أنه في الأخير تلتقي هذه الفروع كلها في سلوك الإنسان وأفعاله وأخلاقه: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجاهدته لنفسه، ومجاهدته للعدو، تقشفه وتعففه وزهده، تذكير النفس ووعظها وترهيبها وتخويفها، والخلوة والانقطاع بها من أجل التفرغ للعبادة والقيام بالمجاهدات والرياضات؛ كما يمكننا القول بأن الاختلاف في هذا التقسيم يرجع أيضا إلى مجال الدراسة فبينما ركز بوتشيش على المجال المرابطي، فإن بونابي ركز على المغرب الأوسط ومنه مدينة بجاية.

41- من شيوخ وصلحاء وأولياء بجاية المشهورين، كان أميا كما ذكر ابن عربي، كان من أهل الخطوة، كان يستتر في أحواله ويتظاهر بالبله، فكان يركب قصبة كالصبيان، كان بقيد الحياة سنة 591هـ، قبره عند مسجد الفقيه أبي زكرياء الزواوي بخارج باب المرسى: ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص80-82.

42- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص112.

43- الغبريني، المصدر السابق، ص136.

44- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص89، 113- 115.

45- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص131-132.

46- وينقسم هذا التيار إلى عدة اتجاهات وهي: الغزالين، المدينيين، المجاريين، الشاذليين، وأصحاب الاتجاه الباطني: الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص116-141، ويبقى هذا التقسيم رأي شخصي خاص بالباحث.

47- وتعني امتزاج شيئين أو أكثر في كلّ متصل الأجزاء، ومنه اتحاد النفس والبدن، وأدنى درجات الاتحاد هو الاشتراك البسيط في أمور عرضية، وأعلاها هو درجة الاتحاد الصوفي، وهي أعلى مقامات النفس، ومعها يصبح

الواصل كأنه والبارئ شيء واحد، فيخترق الحجب، ويرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص ص31-32.

48- حكمة تنسب إلى السهروردي؛ والإشراق في اللغة الإضاءة والإنارة، أما في اصطلاح الحكماء فيعني: ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية، وحكمة الإشراق هي الحكمة المبنية على الإشراق الذي هو الكشف...: جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص ص93-94.

49- وهي نظرية تتلخص في خروج الإنسان من ذاته، ما ينتج عنه ذهاب الحس والوعي الفردي، وانعدام الشعور بالنفس، بل وبالعالم الخارجي، وامّحاء العبد في جلال الرب؛ فيفنى العبد في شخصه، وتغيب هويته، ويصبح كامنا في ربّه، بعد مجاهدة ومجالدة وتصفية للنفس: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص32.

50- وهما: اتجاه معتدل تبنى أفكار الغزالية ومال إلى العلوم الباطنية، ولكن انتهج طريق المعارضة السلمية الإصلاحية، واتجاه باطني متطرف مال إلى العنف والثورة ضد السلطة: بوتشيش، المرجع السابق، ص ص132-133.

51- وينقسم إلى: الاتجاه الحرالي، اتجاه الوحدة المطلقة، اتجاه وحدة الوجود: بونابي، ص ص142-159.

52- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص68.

53- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص85.

54- هو أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي، ولد ونشأ بقرطبة، وعاش ببجاية، له كرامات، توفي ضحى يوم الاثنين 12 ربيع الأول من عام اثنين وستين وستمائة، وقبره قريب من قبر الشيخ أبي زكرياء الزواوي، للاستزادة: ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص161-164.

55- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص143، 144، 146.

56- هو أبو الحسن علي بن عمران بن موسى المليائي، لقي كبار مشايخ الصوفية ببجاية كالحرالي وغيره، وكان من خواص أصحابه وفضلائهم، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص199.

57- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص145.

58- نفسه، ص ص81.

59- نفسه، ص158.

60- الغبريني، المصدر السابق، ص46.

61- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص158.

62- هو قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين، من أهل مرسية له علم وحكمة، ومعرفة ونباهة وبراعة وبلاغة وفصاحة، رحل إلى العدوة، وسكن بجاية؛ ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص209.

63- هو أبو الحسن علي النميري الششتري، من الطلبة المحصلين، ومن الفقراء المنقطعين، له معرفة بالحكمة، ومعرفة بطريق الصالحين الصوفية...كان كثير من الطلبة يرجحونه على شيخه ابن سبعين، كانت وفاته بدمياط؛ ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص210-213.

64- أحمد بن أحمد الغبريني، نسبة إلى غبرين بناحية عزازقة، صاحب كتاب "عنوان الدراية"، ولد حوالي سنة 644هـ/1226م بغبرين، ثم انتقل إلى بجاية أين تفقه في العلوم الشرعية والفلسفية، درّس في بجاية وبجامع الزيتونة في تونس، كما تولى القضاء في عدّة أماكن من بجاية، قتل من طرف أمير بجاية بعد وشاية اتهم فيها بتحريض سلطان تونس على غزو بجاية، وذلك بعد عودته من سفارة إلى تونس، وقد اختلف في تاريخ وفاته، حيث تتفق أغلب المصادر على أن تاريخ مقتله كان سنة 714هـ/1314م، غير أن ابن قنفذ يذكر بأن تاريخ وفاته كان سنة 704هـ/1304م: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، المسيلة- الجزائر، 1427هـ/2006م، ص ص66-67.

65- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص82، 153.

66- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ج2، ص ص345-346.

67- عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 348.

68- نفسه، ص194.